

الجهاد في الإسلام للدفاع عن الدين

بقلم : أ د / عبد الخاق إبراهيم اسماعيل

عميد كلية أصول الدين والدعوة

ورئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

تعريفه :

الجهاد لغة مأخوذ من الجهد ، وهو الطاقة والمشقة ، يقال : جاهد
يجاهد جهاداً ومجاهدة ، اذا استفرغ وسعة ، وبذل طاقته ، وتحمل المشاق
فى مقاتلة العدو ومدافعته ، وهو ما يسمى بالحرب فى عصرنا .

هذا هو تعريف الجهاد لغة .

وأما الجهاد اصطلاحاً . فهو بذل الجهد فى حرب الأعداء وقتالهم دفاعاً
عن الدين والأمة واعلاء لكلمة الله سبحانه وتعالى ونشر الدعوة الإسلامية بين
الناس أجمعين ، ويطلق أيضاً على مجاهدة النفس والشيطان والفساق .

مشروعيته :

أرسل الله عبده محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
وقام ﷺ بتبليغ رسالة ربه بكل أمانة وإخلاص ، ولكن المشركين لم يستجيبوا
لنداء الحق ووقفوا من الرسول ﷺ ودعوته موقف العداء والمعارضة والمعاندة
وليتهم التفوا حول الرسول وأيدوه ، ولكنهم ناصبوه العداوة وأعلنوا
الحرب عليه وعلى دعوته وأتباعه من المسلمين .

حيث آذوهم وعذبوهم حتى استشهد ياسر وزوجه سمية تحت تعذيب
الكفار لهما ، وحتى نال المسلمين منهم أذى كثيراً اضطرب بعضهم الى الهجرة
الى الحبشة والى المدينة تاركين ديارهم وأموالهم .

واستمر الرسول ﷺ في مكة ما يقرب من ثلاث عشرة سنة يدعو الى ربه بدون أن يرفع السيف على أحد ، أو يقاتل أحداً حتى أذن الله له بالهجرة الى المدينة المنورة وهناك نزل الاذن بالقتال للرسول والمؤمنين في قوله تعالى

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير الحق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » •

(الحج ٣٩، ٤٠)

أدلتـه :

ومن أدلة مشروعيته قوله تعالى « وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » . (الحج ٧٨)

وقوله سبحانه « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » (البقرة ٢١٦)

وقوله تعالى « فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً » •
(النساء ٧٤)

ومن السنة : عن أبي هريرة رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ « من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق » .
(رواه مسلم)

وسياتى ان شاء الله ذكر الكثير من آيات الجهاد ومن أحاديثه فى خلال الكلام عن منزلة الجهاد فى الاسلام .

وقد ثبت الجهاد أيضا بالاجماع . حيث أن الأمة أجمعت عليه وطبقته وعلمت أنه ضرورة من ضرورات الدفاع عن الدين والدولة ، واحقاق الحق وازهاق الباطل .

ولقد فرض الله الجهاد على المسلمين فى السنة الثانية من الهجرة . وفى هذا العام نفسه كانت غزوة بدر الكبرى بين المسلمين والمشركين ، وفيها كتب الله النصر لمحمد ﷺ والمؤمنين معه مع أن بعضهم كان كارهاً لخروج الرسول من بيته للحرب .

قال تعالى :

« كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون وإذا يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » . (الأنفال : ٥ : ٨)

حكمه :

يختلف حكم الجهاد باختلاف حال المسلمين ، فالجهاد :

١ - فرض كفاية إذا كان الكفار فى بلادهم ولا يحشدون لقتال المسلمين ولا لاحتلال بلادهم .

وأقل فرض الكفاية سد اثغور بالمؤمنين لارهاب أعداء الله .

وقال بعض العلماء ، ان على الامام ارسال جيش في السنة على الأقل
أو سرية الى دار الحرب كل سنة مرة أو مرتين وعلى الرعية أن تعينه على
ذلك فان لم يبعث كان الاثم عليه (١) ، وذلك لنشر دين الله .

٢ - وهو فرض عين على كل مسلم في حالات منها .

١ - اذا دهم الكفار بلدة من بلاد المسلمين وهاجموها وأرادوا القضاء
على أهلها قال الكاسائي :

(فاما اذا عم النفير بأن هجم العدو على بلدة فهو فرض يفترض على
كل واحد من آحاد المسلمين ممن يقدر عليه) (٢) لقوله سبحانه :
« انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم
خير لكم ان كنتم تعلمون » (٣) .

ب - وأيضا يكون الجهاد فرض عين اذا استنفر الامام قومًا توجب عليهم
طاعته والخروج الى الجهاد وهذا يسمى نفيراً خاصاً ، أما اذا استنفر الناس
جميعاً كان نفيراً عاماً على جميع الأمة لما رواه البخاري عن ابن عباس رضى
الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم الفتح (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية
واذا استنفرتم فانفروا) (٤) .

ولقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل
الله اثاقلتم الى الأرض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة
الدنيا في الآخرة الا قليل » (التوبة ٣٨)

ج - واذا التقى الجيشان فيصبح القتال فرض عين على المجاهدين من
المسلمين ويحرم عليهم التولى والفرار الا للتحرف للقتال أو للتحيز الى فئة
لقوله تعالى في محكم التنزيل « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفاً
فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفاً لقتال أو متحيزاً الى
فئة فقد باء بغضب من الله وماؤاه جهنم وبئس المصير »
(الانفال ١٥ ، ١٦)

(١) حاشية ابن عابدين ٣ / ٢٣٨ بتصرف . (٢) بدائع الصنائع ٧ / ٩٨

(٣) فتح الباري ٦ / ٣٤٤ (٤) فتح القدير ٥ / ١٩١

وقوله سبحانه « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً
لعلكم تفلحون » .

د - وإذا أسر الكفار مسلماً أو مسلمة فقد اتفق العلماء على أنه إذا أسر
مسلم من قبل الكفار فإنه يجب على المسلمين جميعاً انقاذه ، جاء في فتح
القدير (أما انقاذ الأسير فواجب على الكل من أهل المشرق والمغرب عن
علم) .

وفي كتاب نهاية المحتاج أنه لو أن (امرأة مسلمة سببت في المشرق وجب
على أهل المغرب تخليصها من الأسر (١)) .

وهذه بعض أقوال العلماء في حكم الجهاد وآرائهم ، يقول ابن حزم
فرض على المسلمين فإذا قام به من يدفع العدو ويغزوهم في عقر دارهم ويحمي
ثغور المسلمين سقط فرضه عن الباقيين والا فلا (٢) .

ويرى سعيد بن المسبب رضى الله عنه أن الجهاد فرض عين في جميع
الأحوال (٣) .

ويقول ابن القيم والجهاد فرض على الكفاية إذا قام به قوم سقط عن
الباقيين (٤) .

وفرض الكفاية هو الذى ان لم يقم به من يكفيه من الأمة كانت كلها آثمة
وان قام به منها من يكفيه سقط عن باقى الناس بخلاف فرض العين فهو الذى
لا يسقط بنعل البعض بل لابد من قيام الجميع به والا اثم المتخلف عنه .

فالجهاد مطلوب للدفاع عن الحق النازل من عند الله الى خلقه ، حتى
يرتدع الباطل ، ولقد فهم سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين هذه الحقيقة
جيداً فمارسوها عملياً في حياتهم لدرجة أنهم كانوا يحرسون على الموت

(٢) الجهاد في الاسلام ٢٤

(٤) المغنى ٨ / ٢٤٥

(١) نهاية المحتاج ٨ / ٥٨

(٣) الجهاد في الاسلام ٢٤

والاستشهاد في سبيل الله حرصهم على الحياة . بل انهم كانوا يعتبرون الاستشهاد في سبيل الله سبحانه رزقاً يسوقه الله اليهم فقد ورد أن أحد أصحاب رسول الله ﷺ واسمه حارثة قال للرسول ﷺ ادع الله أن يرزقني الشهادة فدعا له الرسول ﷺ بذلك فاستشهد في إحدى الغزوات ، ولما سألت عنه أمه الرسول ﷺ قائلة أفي الجنة ولدى يا رسول الله فأصبر أم في غير ذلك فأجتهده في البكاء عليه ، فقال لها الرسول ﷺ ما مؤداه يا أم حارثة انها جنان في الجنة وان ابنك أصاب الفردوس الأعلى . وهذا أبو أيوب الأنصاري رضى الله عنه وأول من نزل عليه الرسول ﷺ بالمدينة المنورة عندما هاجر إليها . يذهب من المدينة مجاهداً في سبيل الله فيموت في بلاد الترك شهيداً ويدفن هناك بالقرب من استانبول وكثير من الصحابة رضى الله عنهم ماتوا شهداء في سبيل الله فرضى الله عنهم أجمعين .

على من يجب الجهاد ؟

ويجب الجهاد على المسلم البالغ العاقل الحر الذكر السليم من المرض الواجد لمؤنة الجهاد ، فأما الاسلام والبلوغ والعقل فهي شروط لا بد من توافرها لأن الكافر الصبي ضعيف الجسم ولا يقوى على الكر والفر وقد ورد أن الرسول ﷺ رد عبد الله بن عمر رضى عنهما وهو ابن أربع عشرة سنة ولم يجزه في الحرب كما قال ابن عمر نفسه ذلك (عرضت على رسول الله ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة فلم يجزني في المقاتلة) .

أوما الحرية فلما روى أن النبي ﷺ كان يبياع الأحرار على الاسلام والجهاد في سبيل الله ، ويبايع العبيد على الاسلام فقط دون الجهاد ، كما أن المجنون لا يتأتى منه الجهاد ، فهو لا يدرك ما ينبغي عمله أى أنه فاقد الادراك فكيف يرجى منه قتال ؟

أما الذكورة فلما ورد عن عائشة رضى الله عنها قالت :

قلت : يا رسول الله هل على النساء جهاد ؟

فقال : (جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة) .
وأما السلامة من المرض فلقوله تعالى :

« ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج
ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه
عذاباً أليماً » . (الفتح ١٧)

وأما وجود النفقة فلقوله تعالى :

« ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
حرج إذا نصحوا الله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم » .
(التوبة ٩١)
فمن كل ما سبق نلاحظ أن الله عز وجل لم يجعل علينا في الدين من
حرج ولم يكلفنا ما لا نطيق .

قال تعالى :

« لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » . (البقرة)

وهذا من مميزات الاسلام ، هذا الدين الذي أكرمنا الله به وارتضاه لنا
بعد أن أكمله .

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام
ديناً » .

أسباب القتال عموماً

الصراع بين البشر قديم منذ أن خلق الله آدم عليه السلام وأهبطه
الى الأرض حيث كان الصراع بين الحق والباطل بين هابيل وأخيه قابيل
ولدى آدم عليه السلام . فقد قتل الأخ أخاه حقداً عليه وحسداً يوم لم يكن
يوجد على الأرض إلا آدم وذريته . هكذا طبيعة البشر من بنى آدم كل يريد
أن تكون كلمته هي المسيطرة وأن يكون له الأمر والنهي لا لغيره .

وتقدمت الحياة وازداد الناس واختلفت مصالحهم وتباينت أهدافهم
فقام بينهم الصراع ليس بين فرد وآخر فقط كما حدث بين ولدى آدم عليه
السلام وانما بين الجماعات بعضها وبعض ثم بين الدول - عندما عرف نظام
الدولة - فكانت الحروب الطاحنة بين الدول من أجل السيطرة وبسط النفوذ
ثم كانت هداية الله للبشر عن طريق الأنبياء والرسل الذين دعوا الى
وحدانية الله وعبادته سبحانه وعملوا على أن تسود المجتمعات تشريعاته
وأحكامه .

ولم تكن الدعوة الى الله تعالى بالقوة والبطش بل بالحسنى والاقناع
الحر ودفع الحجة بالحجة والجدال بالحسنى .

ولم يشرع للأنبياء القتال ضد أعدائهم وأعداء دعواتهم الحق الا عندما
قاتلهم الأعداء المجرمون المعترضون واعتدى عليهم أهل الباطل والزور
يريدون القضاء عليهم وعلى ما جاءوا به من الحق ليظل الفساد منتشراً في
الدنيا . فهم المستفيدون من وجوده ولكن الحق سبحانه وتعالى ، رد كيدهم
في نحورهم ونصر عباده المؤمنين مصداقاً لقوله تعالى :

« وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » (الروم)

والاسلام دين سلام وليس دين عنف وحرب بل انه الدين الكامل الناسخ
لما سبقه من آديان ، ولذلك جاء فيه الدعوة الى الله بالرفقة واللين والحسنى
امثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى .

قال تعالى :

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي
أحسن » (النحل ١٢٥)

وهكذا استمرت دعوة النبى محمد ﷺ الى عبادة ربه الى أن اشتد ايذاء
الكفار له ولأصحابه . فهاجر من مكة الى المدينة حيث نزل الأمر بالقتال كما
سبق أن ذكرت .

والملاحظ أن القتال في الاسلام انما شرع لقتال المعتدين على الحق
المعارضين له والواقفين في سبيله ، ولم يشرع القتال في الاسلام للظلم والعدوان
والبغى كما نرى في عالمنا اليوم حيث يعتدى المستعمرون على الشعوب
الآمنة ويقتلون أهلها ويستولون على أرضها وخيراتنا بدون وجه حق اللهم
الا حب السيطرة والاستبداد .

ولقد قاسى المسلمون كثيرا من ظلم الاستعمار الذى مزق الأمة الواحدة
الى دويلات صغيرة ، وزرع بين حكامها العداوة وجاء بجسم غريب هو
ما يسمى بدولة اسرائيل ، فزرعه في قلب الأمة الاسلامية ، فشرذم أبناء فلسطين
وذبحهم وأخذ يلاحقهم في كل مكان .

وهذا لا يمت الى العدل ولا الى الرحمة بحال من الأحوال .

فحسبنا الله ونعم الوكيل .

لماذا يجاهد المسلمون ؟

ان أعداء الحق من الكفار ساءهم أن تضىء الدنيا بنور الاسلام فأخذوا
يطعنون فيه فيقولون انه دين انتشر بالسيف والله يعلم أن هذه فرية لا أساس
لها ، وانما كان المسلمون يجاهدون في سبيل الله دفاعاً عن الحق ، ورداً لكيد
المتربصين به ولتكون كلمة الله هى العليا ، لأن الاسلام أوجب على المسلمين
أن يكون ذلك هدفهم .

ولم يقاتل المسلمون من أجل الجاه أوجب الظهور أو المال أو الغنيمة
والغلول منها أو قصد الغلبة والسيطرة فكل ذلك حرام على المسلم .

ما الحلال فهو أن يقدم نفسه وماله فداء لدينه وعقيدته ونشر هداية الله
بين العالمين .

فليس الجهاد في الاسلام وسيلة للعدوان والمطامع الشخصية ولكنه حماية
للدعوة وضمانا للمسلم وأداة للرسالة العظيمة التى حمل عبئها أهل الايمان

دعاة للحق وهداة اليه . يرشدون الناس الى نور اليقين . ولذلك نجد أن الاسلام الذى شرع الجهاد هو نفسه الدين الذى دعا الى السلم فى قوله تعالى : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم » (الأنفال ٦١)

الرحمة فى جهاد المسلمين :

والمسلمون فى جهادهم رحماء ، أصحاب غايات نبيلة ، وأهداف سامية ولذلك نلاحظ أن الله عز وجل يأمرهم بعدم العدوان فيقول جل شأنه :

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » . (البقرة ١٩٠)

ويأمر الله المسلمين بالعدل حتى مع أعدائهم وخصومهم فيقول عز وجل « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن (١) قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعلمون » . (المائدة ٨)

فالمسلمون حينما يجادون فى سبيل الله لا يعتدون ولا يفجرون ولا يمثلون ولا يسرقون ولا ينتهبون الأموال ولا ينتهكون الحرمات ولا يتقدمون بالأذى والضرر ، فهم فى جهادهم خير المحاربين كما أنهم فى سلمهم خير المسالين . ولقد وصاهم الرسول بعدم الفجور فى القتال .

فعن بريدة رضى الله عنه .

قال : كان رسول الله ﷺ اذا أمر الأمير على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله تعالى ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال : اغزوا باسم الله فى سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ، ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا - كما ورد النهى عن قتل النساء والصبيان والشيوخ والاجهاز على الجرحى واهاجة الرهبان والمنعزلين ومن لا يقاتل من الأمنين ، فأين هذه الرحمة من غارات الأعداء اليوم الذى شطبوا الرحمة من قاموسهم ؟

(١) شنآن : بغض .

العلماء والجهاد :

ان من يدرس تاريخ الجهاد في الاسلام يلاحظ أن الرسول ﷺ كان خير المجاهدين ، ولأنه ﷺ هو القدوة لأمته بمقتضى قوله تعالى :

« لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » .
(الأحزاب ٢١)

فقد اقتدى به أصحابه والتابعين ثم من بعدهم العلماء المخلصون في كل زمان لأنهم هم الذين يخشون ربهم « .
قال تعالى :

« انما يخشى الله من عباده العلماء » . (فاطر ٢٨)
ولذلك فما أكثر المواقف التي وقفها علماء الأمة في جهادهم ضد الظلم وفي نصح الحكام وحتى في الجهاد مع الجيوش .

فهذا الحسن البصري ومحمد بن سيرين والشعبي يستدعيهم عمر بن هبيرة القرازي والى العراق من قبل يزيد بن عبد الملك ويقول لهم : ان يزيداً خليفة الله استخلفه على عبادته ، وأخذ عليهم الميثاق بطاعته ، وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة ، وقد ولانى ما ترون فيكتب الى بالامر من أمره فأفاده ما تقلده من ذلك الأمر مما ترون ؟

فقال ابن سيرين والشعبي قولاً فيه تقية .
فقال ابن هبيرة : ما تقول يا حسن ؟

فقال : يا ابن هبيرة خف الله في يزيد ، ولا تخف يزيد في الله ان الله يمنحك من يزيد ، وان يزيداً لا يمنحك من الله ، وأوشك أن يبعث اليك ملكاً فيزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك ، ثم لا ينجيك الا عمك ، يا ابن هبيرة ، ان تعص الله فانما جعل الله السلطان ناصراً لدين الله وعباده ، فلا تركبن دين الله وعباده لسلطان الله ، فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق (١) .

(١) الجهاد ميادينه وأساليبه ٢١٢

وروى أن أبا جعفر المنصور استدعى ابن طاوس أحد علماء عصره ومعه مالك بن أنس ، فلما دخلا عليه ، أطرق ساعة ، ثم التفت الى ابن طاوس فقال له : حدثنى عن أبيك طاوس - ابن كيسان التابعى .

فقال حدثنى أبى أن رسول الله ﷺ قال :

« ان أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله فى حكمه فأدخل عليه الجور فى عدله » . فأمسك ساعة .

قال مالك : فضمت ثيابى مخافة أن يملأنى من دمه ثم التفت اليه أبو جعفر .

فقال : عطنى يا ابن طاوس قال نعم يا أمير المؤمنين ، ان الله تعالى قال : « ألم تركيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد ، التى لم يخلق مثلها فى البلاد ، دثمود الذين جابوا الصخر بالواد ، وفرعون ذى الاوتاد ، الذين طغوا فى البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ، فصب عليهم ربك سوط عذاب ، ان ربك لبالمرصاد » . (الفجر ٦ : ١٤)

قال مالك : فضمت ثيابى مخافة أن يملأنى من دمه ، فأمسك عنه ثم قال : ناولنى الدواة ، فأمسك عنه حتى اسود ما بيننا وبينه ، ثم قال : يا ابن طاوس ناولنى هذه الدواة ، فأمسك عنه ، فقال ما يمنعك أن تناولنيها ؟

فقال أخشى أن تكتب بها معصية الله ، فأكون شريكك فيها .

فلما سمع ذلك قال : قوما عنى ، قال ابن طاوس . ذلك ما كنا نبغى منذ اليوم ، قال مالك : فما زلت أعرف لابن طاوس فضله (١) .

وقام العلماء فى كل زمان بواجبهم فى الجهاد ، وها هم علماء « أفغانستان » يقومون بواجبهم مع المجاهدين فى سبيل الله ، فقد هبوا فى وجه الملحدين والشيوعيين ، ولم يهنوا ولم تضعف عزيمتهم رغم قلة ما لديهم من عتاد وسلاح ورغم ما فى أيدي أعدائهم من السلاح الكثير . ولكنهم اعتمدوا على الله الذى قال : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » (الروم ٤٧)

منزلة الجهاد في الاسلام :

للجهاد في الاسلام فضل عظيم ، فقد رفع الله شأن المجاهدين في سبيله وبين أنهم لا يستون مع المتخلفين عن الجهاد الذين توعدهم الله بأفطع العقوبات ، ورماهم بأبشع النعوت والصفات ووبخهم على الجبن والقعود ونعى عليهم الضعف والتخلف وأعد لهم الخزي في الدنيا ، وتوعدهم بالعذاب في الآخرة . حتى الذين قعدوا عن الجهاد من أهل الايمان وليسوا من أصحاب الأعداء ، ولم يسو الله سبحانه وتعالى بينهم وبين المجاهدين ، وانما فضل المجاهدين عليهم بالأجر العظيم .

قال تعالى :

« لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً . درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً » .
(النساء ٩٥ ، ٩٦)

ولسنا نجد نظاماً قديماً أو حديثاً دينياً أو مدنياً عنى بشأن الجهاد والجندي واستنفار الأمة وحشدتها كلها صفا واحداً كما نجد في دين الاسلام فقد جاء في القرآن الكريم الكثير من الآيات الكريمة التي تحت على الجهاد وتحضى عليه ، وأيضاً الأحاديث النبوية الشريفة جاء الكثير منها يدعو الى الجهاد والحض عليه ، بل ان الرسول ﷺ نفسه كان سيد المجاهدين في سبيل الله ، فقد خرج في الغزوات مع جيوش الحق ، في بدر وفي أحد وفي غيرهما من الغزوات .

وكان أصحابه يتقون به اذا حمى الوطيس كما قال ذلك بعضهم في بعض الروايات « كنا اذا حمى الوطيس واحمرت الحديق اتقينا برسول الله ﷺ » .

وحتى يحصل المؤمنون على ثواب الجهاد في سبيل الله ، فقد حذر الله سبحانه المؤمنين من أن يتأخروا عن الجهاد ويقولون بمقولة الكفار لآخوانهم اذا ضربوا في أرض الله ، أو كانوا من الغزاة في سبيله « لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا » لأن الموت والحياة بيد الله سبحانه وتعالى ، وهذا الكلام نتيجة الحسرة الموجودة في قلوب الكفار .

قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لآخوانهم اذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحى ويميت والله بما تعملون بصير » .

(آل عمران ١٥٦ : ١٥٨)

ثم بين الله للمؤمنين أن قتلهم في سبيل الله أو موتهم ، ثوابه مغفرة من الله ورحمة .

وهذا خير مما يجمع الانسان من دنياه ، وما الموت أو القتل الا حشر ورجوع الى الله الخالق المالك .

قال تعالى :

« ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم قتلتم لالى الله تحشرون » .

(آل عمران ١٥٦ : ١٥٨)

وأخبرنا الله سبحانه أن الشهداء أحياء عنده يرزقون من فضله وأنهم في فرح دائم بما أعطاهم الله من نعمة ، ويستبشرون بمن بعدهم أنه لا خوف عليهم ولا حزن .

قال تعالى :

« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموات بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون »

(آل عمران ١٦٩ ، ١٧٠)

وطالبنا بقتال الكفار اعداء الاسلام الذين لا يؤمنون بالله وينكرون البعث ولا يحرمون الأمور التي حرمها الله ورسوله ، ولا يدينون بالاسلام وهو الدين الحق حتى يسلموا أو يعطوا الجزية صاغرين .

قال تعالى :

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرين » .
(التوبة ٢٩)

وأمرنا خالقنا سبحانه بالنفير في سبيله والجهاد بالمال والنفس ففى هذا الخير الكثير .

قال تعالى :

« انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » .
(التوبة ٤١)

وأخبرنا جل شأنه عن جهاد الرسول والمؤمنين معه بالمال والنفس ولذلك لهم الخيرات من ربهم وهم أهل الفلاح الذين أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها . وذلك فوز عظيم عند الله .

قال تعالى :

« لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم أولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون ، أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم » .
(التوبة ٨٨ ، ٨٩)

وعاب الله على بعض أهل الايمان الذين تناقلوا عن الجهاد في سبيله ورضوا بالحياة الدنيا وفضلوها على الآخرة مع أن متاع الحياة الدنيا قليل اذا قيس بمتاع الآخرة .

قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل » .
(التوبة ٣٨)

وطالبنا الله بالاستعداد واعداد العدة بقدر المستطاع من رباط الخيل
ومن كل أنواع السلاح حتى يرهبنا العدو فلا يهاجمنا ، وكل ما ننفق في سبيل
الله سيعود علينا نفقة في الدنيا والاخرة .

قال تعالى :

« واعدو لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو
الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء
في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون » (الانفال ٦٠)

فالأعداء منهم من نعرف ومنهم من لم نعرف ولكن الله يعلمهم ولذلك
فيجب أن نستعد لمواجهة كلا الفريقين حتى لانؤخذ على غرة ونفاجأ بهجوم
الأعداء علينا ونحن على غير استعداد فتكون العواقب وخيمة ولا ينبغي أن
يكون أبائنا وأبنائنا واخواننا وأزواجنا وعشيرتنا وما اقتربنا من الأموال
وما نقوم به من تجارة نخشى كسادها وما نبني من مباني ومساكن نرضى عنها
لا ينبغي أن يكون كل ذلك أحب إلينا من الله ورسوله ، والجهاد في سبيله ،
ذلك لو حدث فعلينا أن ننتظر اتيان أمر الله مينا ، وهو جل شأنه لا يهدى
أهل الفسوق .

قال تعالى :

« قل ان كان آبؤكم وابنائكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال
اقتربتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله
ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدى القوم
الفاسين » (التوبة ٢٤)

ولقد دلنا الله على التجارة الربحية في الدنيا وفي الآخرة .

وهذه التجارة ينجيها الله بها من العذاب ، وهي الايمان بالله ورسوله
والجهاد في سبيله بالمال والنفس ففي هذا الخير كله لو كنا نعلم .

قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم •
تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم
إن كنتم تعلمون » • (الصف ١٠ ، ١١)

هذا بعض ما جاء عن الجهاد وفضله والدعوة اليه من كتاب الله عز وجل
لعل فيها ما ينير طريقنا نحو الغاية التي ننشدها جميعا وهى العزة لديننا
الحنيف ، والرفعة لأمتنا والله من وراء القصد ، وهو على ما يشاء قدير •

وكما جاء القرآن الكريم ببيان فضل الجهاد ومنزلته فى الاسلام فقد جاء
فى سنة رسول الله ﷺ أيضا ما يدل لذلك - ومن المعلوم أن السنة هى المصدر
الثانى من مصادر الشريعة الغراء •

فالرسول ﷺ يشبه المجاهد فى سبيل الله ويضرب المثل له اذا كان مخلصا
فى جهاده بالانسان المؤمن الصائم المداوم على الصلاة والقيام فيها ليلا ونهارا
وبين ﷺ أن الله سبحانه تكفل للمجاهد فى سبيله باخلاص أن يدخله الجنة
اذا نال الشهادة ومات فى سبيل الله أو أن يرجعه سالما الى أهله مع الاجر
والثواب من الله فى الآخرة ومع الغنيمة التى يحصل عليها من غنائم الحرب
فى الدنيا •

فقد قال أبو هريرة رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول :

(مثل المجاهد فى سبيل الله ، والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله • كمثل
الصائم القائم ، وتوكل الله للمجاهد فى سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة
أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة) (١)

وعرفنا الرسول ﷺ أن قاب قوس فى الجنة للمجاهد خير مما تطلع
عليه الشمس وتغرب ، وقال لغدوه أو روحة فى سبيل الله خير مما تطلع عليه
الشمس وتغرب) (٢) •

(٢) رواه البخارى

(١) رواه البخارى

وأخبرنا الرسول ﷺ أن الجرح الذى يصيب المجاهد فى سبيل الله المخلص والله أعلم بالمخلصين - فانه يجىء يوم القيامة اللون لون الدم ، والريح ريح المسك .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ .

قال : (والذى نفسى بيده لا يكلم أحد فى سبيل الله ، والله أعلم بمن يكلم فى سبيله ، الا جاء يوم القيامة واللون لون الدم ، والريح ريح المسك) (١) .

وكل الاموات يختم على أعمالهم الا المرابطين فى سبيل الله فان الله ينمى لهم أعمالهم ويزيد فيها الى يوم القيامة ، ويؤمنهم من فتنة القبر وعذابه .

فعن فضالة بن عبيد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ .

قال : (كل ميت يختم على عمله الا المرابط فى سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ، ويؤمن من فتنة القبر) (٢) .

وعاب الرسول ﷺ على الذين قالوا لا جهاد قد وضعت الحرب أوزارها فقال كذبوا الآن جاء القتال ، وبين ﷺ أن من الأمة الاسلامية أمة يقاتلون فى سبيل الحق ، وأن الله سوف يزيغ لهم قلوب أقوام ويرزقهم منهم حتى يوم القيامة وحتى مجىء وعد الله .

وعرفنا ﷺ أن الخير معقود فى نواصى الخيل الى قيام الساعة ، وأوصانا بأن نتحد ونتعاون وأن نتبعه ونقتدى به وأن يحب بعضنا بعضا ولا نتخاصم ونصير أعداء ويضرب بعضنا بعضا .

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه أب داود والترمذى وقال حديث حسن .

فغن سلمة بن نفيل الكندى رضى الله عنه .

قال : كنت جالسا عند رسول الله ﷺ فقال رجل : يا رسول الله أزال الناس الخيل ووضعوا السلاح .

قالوا : لا جهاد قد وضعت الحرب أوزارها ، فاقبل رسول الله ﷺ بوجهه .

وقال : كذبوا ، الآن جاء القتال ، ولا تزال من أمتى أمة يقاتلون على الحق ، ويزيغ الله لهم قلوب أقوام ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة ، وحتى يأتى وعد الله ، الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة ، وهو يوحى الى : أنى مقبوض غير ملبث وأنتم تتبعونى ، ألا فلا يضرب بعضكم رقاب بعض وعقر دار المؤمنين الشام (١) .

وأخبرنا الرسول ﷺ أن الله ضمن للمجاهد الذى خرج بقصد الجهاد فقط لا لشيء سواه وهو مؤمن بربه ومصدق برسله ، أن يدخله الجنة أو أن يرجعه سالما الى منزله الذى خرج منه ، ومعه أجر الله وثوابه وما حصل عليه من الغنائم .

وأقسم الرسول ﷺ بربه الذى بيده نفس محمد أن أى جرح يصيب المجاهد فى سبيل الله يأتى يوم القيامة على هيئته يوم أن جرح لونه لون الدم ولكن ريحه ريح المسك .

كما أقسم الرسول ﷺ بخالقه الذى بيده نفس محمد أنه لولا مخافة المشقة على أمنه لم يتخلف عن سرية تحارب وتغزو فى سبيل الله أبداً ولكنه يجد من السعة عنده أن يحملهم الى الجهاد كما أنهم لا يجدون سعة عندهم فيبشق عليهم أن يتخلفوا عنه .

وأقسم الرسول ﷺ بربه الذى بيده نفس محمد أنه ود لو عزا فى سبيل
الله فقتل ثم أحياه الله فغزا فقتل ثم أحياه الله فغزا فقتل وها من حب رسول
الله ﷺ للجهاد ولمعرفته بمنزلته العظيمة عند الله .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ (تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرج به الا جهاد
فى سبيلى وإيمان بى وتصديق برسلى فهو ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه
الى منزله الذى خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة والذى نفس محمد بيده
ما من كلم يكلم فى سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم ، لونه لون
دم ، وريحه ريح مسك ، والذى نفس محمد بيده لو أن أشق على المسلمين
ما قعدت خلاف سرية تغزوا فى سبيل الله أبداً ، ولكن لا أجد سعة فأحملهم
ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى ، والذى نفس محمد بيده لو وددت
أن أغزوا فى سبيل الله فأقتل ثم أغزوا فأقتل ثم أغزوا فأقتل) (١) .

ولقد أرسل عبد الله بن المبارك الى الفضيل بن عياض رضى الله عنهما
هذه الابيات التى تدل على فضل الجهاد ومنزلته فقال :

يا عابد الحرمين لو ابصرتنا	لعلمت أنك فى العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه	فمحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله فى باطل	فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبرنا	وهج السنايك والغبار الأطيب
ولقد آتانا من فعال نبينا	قول صحيح صادق لا يكذب
هذا كتاب الله ينطق بيننا	ليس الشهيد بميت لا كذب

(١) رواه مسنده وروى البخارى بعضه .

فلما سمع الفضيل هذه الآيات ذرفت عيناه .

وقال : صدق أبو عبد الرحمن ونصحنى (١) أى بالجهاد فى سبيل الله
لإعلاء كلمته ونشر دينه الحنيف الذى هو دين البشرية جمعاء .

وبذلك لعلى أكون قد وفقت فى توضيح منزلة الجهاد فى الاسلام وهو
جهد بسيط . فالجهاد منزلته عظيمة ولا يمكن للإنسان أن يحيط بكل
ما يوضح هذه المنزلة ويكشفها للناس ، ويكفى المجاهدين شرفاً أن الله سبحانه
قد اشترى منهم النفس والمال بالجنة والرضوان .

قال تعالى :

« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون
فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن
ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز
العظيم » . (التوبة ١١١)

جعلنا الله من المجاهدين فى سبيله ونصرنا على أعدائنا فهو سبحانه
وتعالى نعم المولى ونعم النصير .

« (الخاتمة) »

فى نهاية هذا البحث قد توصلت الى النتائج التالية :

- ١ - أن الجهاد أمر مفيد للمسلمين ولذلك فرضه الله تعالى عليهم .
- ٢ - أن الله سبحانه لم يفرض علينا الجهاد للاعتداء وظلم الآخرين ولكن
للدفاع عن الحق والنفس وحماية العقيدة ونشر دين الله وإعلاء كلمته
واسعاد البشرية بنور الله وشرعه الحكيم .

(١) الجهاد فى الاسلام ١٣ ، ١٤ بتصرف .

٣ - أن المسلمين في كل جهادهم منذ عهد الرسول ﷺ وإلى ما شاء الله لم يعتدوا ولم يفسدوا في الأرض وإنما كانوا دعاة مصلحين رحماء على غيرهم بعكس ما يفعل أعداء الاسلام الآن . وما فعلوه قبل ذلك في مختلف العصور .

٤ - أن الجهاد له فضل كبير ومنزلة عظيمة عند الله سبحانه .

٥ - أن المجاهدين في سبيل الله لهم أحد الحسين . اما النصر واما الشهادة بشرط أن يكونوا مخلصين في جهادهم .

٦ - أن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون . ويستبشرون باخوانهم الذين لم يلحقوا بهم بعد .

٧ - أن الله سبحانه أعد للمجاهدين في سبيله ما لم يخطر على بال أحد الله على ما يشاء قدير .

أن الاخلاص في الجهاد نتيجة للايمان فعلياً أن نتقى الله حتى نكون من المؤمنين فيكتب لنا النصر ، لأنه سبحانه قال :

« وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » .

« (المراجع) »

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - فتح الباري بشرح صحيح البخارى .
- ٣ - رياض الصالحين - للإمام النووى .
- ٤ - الجهاد ميادينه وأساليبه - د . محمد نعيم ياسين .
- ٥ - حاشية ابن عابدين .
- ٦ - الجهاد في الاسلام - توفيق على وهبه .
- ٧ - الجهاد في الاسلام - محمد محمود الزاميينى .